المحاضرة الخامسة: النص:

((ولا يكوننّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلّا منهم ما ألزم نفسه، واعلم أنه ليس شيء أدعى إلى حسن ظنّ والٍ برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عنهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم، فليكن منك في ذلك أمرٌ يجتمع لك به حسن الظنّ برعيتك، فإن حسن الظنّ يقطع عنك نصبا طويلا، وان أحقّ مَنْ حَسُنَ ظنّك به لمَنْ حَسُنَ بلاؤك عنده، وإن أحقّ من ساء ظنك به لَمَنْ ساء بلاؤك عنده؛ ولا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الأُلْفة، وصلحت عليها الرعية، ولا تحدثنّ سنة تضرّ بشيء من ماضي تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنّها، والوزر عليك بما نقضت منها.

وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتّاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمّال الإنصاف والرفق، ومنها كتّاب أهل الجزية والخراج من الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكل من قد سمّى الله سهمه، ووضع على حدّه وفريضته في كتابه وسنة نبيه عليه السلام عهدا منه محفوظا:

فالجنود باذن الله حصون الرعية وزَيْنُ الولاة وعزّ الدين وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يُخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما أصلحهم، ويكون من وراء حاجاتهم، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب، لما يحكمون من المعاقل ويجمعون من المنافع، ويؤتمنون عليه من خواصّ الأمور وعوامّها، ولا قوام لهم جميعا إلا بالتجّار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمون من أسواقهم ويكفونهم بالرفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحقّ رِفْدُهم ومعونتهم، وفي الله لكلّ سعةٌ، ولكلّ على الوالي حقٌّ بقدر ما يصلحه.

فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله تعالى ولرسوله ولإمامك وأنقاهم جيبا، وأفضلهم حلما، ممّن يبطىء عن الغضب ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء، ممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف. ثم الصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع الكرم وشعب العُرْف، ثم تفقّد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمنّ في نفسك شيء قوّيتهم به، ولا تحقرنّ لطفا تعاهدتهم به وإنْ قلّ، فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك، وحسن الظنّ بك. ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها، فإن لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به، وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه)).

الألفاظ والمعاني:

- النَّصَب: بالتحريك: التعب
- ساء بلاؤك عنده: البلاء هنا الصنع مطلقا، حسنا أو سيئا
- يكون من وراء حاجاتهم: أي: يكون محيطا بجميع حاجاتهم دافعا لها
- المعاقد: العقود في البيع والشراء وما شابههما مما هو شأن القضاة
- الترفق: أي: التكسب بأيديهم ما لا يبلغه كسب غيرهم من سائر الطبقات
- رِفْدهم: مساعدتهم وصلتهم
- الحِلْم: العقل
- ينبو عليه: يتجافى عنهم ويبعد
- جِماع من الكرم: مجموعة منه
- شُعَب: جمع شعبة
- العُرْف: المعروف

- تفاقم الأمر: عظم، أي: لا تعد شيئا قويتهم به غاية في العظم زائدا عما يستحقون فكل شيء قويتهم به واجب عليك اتيانه وهم مستحقون لنيله
- لا تحقرن لطفا: أي: لا تعد شيئا من تلطفك معهم حقيرا فتتركه لحقارته بل كل تلطف وإنْ قل فله موقع في قلوبهم

الأساليب:

<u>الأمر</u>:

وقد ورد بصيغة (افعل) في قوله: ((واعلم أنَّه ليس شيء بأدعى))، و((واعلم أنَّ الرعية طبقات))، كما ورد الأمر بصيغة الفعل المضارع + لام الأمر (لِتَفْعَلْ) في قوله: ((فليكن منك في ذلك أمرٌ)).

<u>النهي</u>:

وقد ورد في النص استعمل (لا) والفعل المضارع+ نون التوكيد الثقيلة المسندة الى المفرد المخاطب في النصح والإرشاد، ومنه : ((ولا يكوننَّ المحسن.. ولا تحدثنَّ))، وكما ورد بصيغة(لا) والفعل المضارع فقط في قوله: ((لا تنقُضْ سنة صالحة، .... ولا تدعْ))

<u>النفي:</u>

ومن أدوات النفي الواردة في النص(ليس) حيث تكررت مرارا ، ومنه في قوله: ((ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن والٍ.. وليس يخرج الوالي..))

التوكيد:

ومن أدوات التوكيد المستعملة(إنَّ) كما في قوله: ((وإنَّ أحقَّ مَن حَسُن ظنك))، ومن التوكيد أيضا التوكيد بنون التوكيد الثقيلة كما في قوله: ((ولا يكونَّ المحسن والمسيء.. لا تحدثنَّ سنة تضر بشيء))

الاشتقاق والتصريف:

- **قَوَام:** بزنة: (فَعَال)، وهو مصدر سماعي للفعل الثلاثي (قام) وقيل: مصدر(قاوم)، وقيل: هو اسم ما يقام به. صحت الواو ولم تقلب ألفا لأنَّ بعدها ألفا ولم تقلب ياء لأنه ليس قبلها كسرة كما في(قيام)
- **قضاة:** بزنة: (فُعَلة) جمع (قاضٍ)، وهو جموع التكسير للكثرة، والأصل: (قُضَيَة) تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً فصار اللفظ إلى(قُضاة).
- **يَقْوَوْنَ:** بزنة: (يَفْعَوْنَ)، والأصل: يَقْوَيُوْنَ، لأنه من الفعل الثلاثي(قَوِيَ)، فلما تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فصار اللفظ(يَقْوَاوْن) وقد اجتمع ساكنان(الألف واو الجمع)، فحذفت الألف التي هي لام الكلمة فصار اللفظ إلى(يَقْوَوْنَ)
- **بُيُتات:** جمع الجمع، أي: هو جمع بيوت، وبيوت جمع بيت.
- **وُلاة:** بزنة(فُعَلَة)، جمع(والٍ)، وهو من جموع التكسير للكثرة، والأصل: (وُلَيَة) فتحركت الياء وفتح ما قبلها فقلبت ألفا فصار اللفظ إلى(وُلاة)

- **الوالدان:** تثنية(الوالد والوالدة)، وثمة فرق في استعمال لفظي(الوالدين والأبوين)، وفي القرآن الكريم يظهر الفرق الدقيق بين التعبيرين، فعندما يذكر الله سبحانه وتعالى كلمة(الأبوين) فالمقصود (الأب والأم) مع الميل لجهة الأب، لأن الكلمة مشتقة من (الأبوة) التي هي للأب وليست للأم. فالأب هو المسؤول عن قوام البيت والإنفاق، وما شاكل، قال تعالى: "ورفع أبويه على العرش"

أما كلمة(الوالدين) فالمقصود بها(الأب والأم) مع الميل لجهة الأم لأن الكلمة مشتقة من الولادة والتي هي من صفات المرأة وليست الرجل، فالأم هي التي حملت جنينها وهناً على وهن ويظهر هذا في سياقات المغفرة والإحسان والدعاء لهما، قال تعالى: " وبالوالدين إحسانا"

- أَلْزَمَ: فعل ثلاثي مزيد بالهمزة
- استقام: فعل ثلاثي مزيد بثلاث أحرف(الهمزة والسين والتاء)
- عَمِلَ: فعل ثلاثي مجرد من أفعال الباب الرابع
- صَلَح: فعل ثلاثي مجرد من أفعال الباب الأول
- خفَّ: فعل ثلاثي مضعف من أفعال الباب الثاني
- قلَّ: فعل ثلاثي مجرد من أفعال الباب الثاني

النحو والتراكيب:

" من ماضي تلك السنن"

- السنن: بدل من اسم الإشارة مجرور وعلامة جره الكسر.

ملاحظة: كل اسم معرف بـ(ال) يقع بعد اسم إشارة يعرب بدلا من اسم الإشارة.

" وليس تقوم الرعية.."

- ليس: حرف نفي لا عمل لها بمنزلة(ما) و(لا) النافيتين، لأنها دخلت على جملة فعلية، ونحوها: ليس يعلم الغيب إلا الله، وما شاكل.

" ولا قوام لهم جميعاً"

- جميعا: حال منصوبة، والتقدير (مجتمعين)

"وإقامة ما استقام به الناس قبلك"

ما: اسم موصول بمعنى الذي في محل جر مضاف إليه.